

قصة

"من هنا بدأت قصتي"



للکاتب : الحسن تیت بلال

تعليق : سيداتي حمود ( زميل في الدراسة )



# " الإهداء "

إلى والدتي تلك المرأة العظيمة التي بذلت كل مهجها  
في سبل أن أكون رجلا صالحا مصلحا فكانت لي  
خير أب وأم في آن واحد .

إلى أساتذتي الأفاضل الذين أناروا الطريق لي فسلكته  
معبدا ...

إلى أولئك الشباب الذين ابلوا شبابهم في سبيل عبادة  
الله تعالى مسترشدين بقول الحبيب صلى الله عليه  
وسلم : (( وشاب نشأ في عبادة الله ))

كنت شابا كغيري من أبناء جيلي منغمسا في حياة اللهو  
والمجون أترأس مجموعة من الشباب في حارتنا ويطلقون  
على " Legrah " واستمرت الأيام وأنا على هذه الحالة  
إلى أن تداركتني هداية الله تعالى لتنتشلني من برائن  
الغواية ورفاق السوء إلى رياض المساجد والجلساء  
الصالحين ثم إنني بدأت شيئا .. فشيئا أتردد إلى تلك  
المجالس حتى جاء اليوم الذي خرجت فيه مع جماعة  
الدعوة والتبليغ "أذكر يومها أنني حضرت " المشورة " مع  
الأحابيب " وأخبروني بأن هناك جماعة خارجة في سبيل  
الله في مسجد قريب من حارتي فقبلت ثم إنني ذهبت إلى  
الدكان الذي اعمل فيه وكان ذلك زمن العطلة لأنني كنت  
تلميذا في السنة الأولى في المرحلة الإعدادية ولما كان في  
غضون الساعة العاشرة صباحا تقريبا أتاني زميل فوجدني  
في المحل الذي أعمل فيه فقص علي القصص متفاجئا إذ  
أنني لا أزال موجودا هناك ثم دلني على مكان الجماعة  
فانطلقت وفي نفسي من السرور ما الله به عليم حتى

انتهيت إلى منزل أهلي فطفقت أرتب ملابسي وأعد نفسي للخروج غير أنني وجدت معارضة ضئيلة من أمي إلا أنني استطعت التفوق عليها وبعد ذلك ذهبت إلى الجماعة .

وعندما دخلت عليهم ألفتهم محلقين كأنهم القمر ليلة البدر بين أيديهم كتاب رياض الصالحين يستسقون به أرواحهم ولما جن الليل علي جاءني ابن خالي يريدني أن انقلب معه لأن والدتي طلبت منه ذلك فامتنعت من ذلك وفي الصباح أرسل " الأمير " إليها اثنتين من " الأحباب " كانت لديهم معرفة بها من الناحية القبلية ، فأنست نفسها ورضيت بالأمر وفي الغد انتقلت الجماعة من ذلك المسجد إلى مسجد آخر غير بعيد فمكثت فيه معهم يومين وأنا في سعادة روحية إيمانية لو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما لنفذوا قبل أن يصفوها اعتبر نفسي ولدت من جديد وكأنني كنت في غابة مليئة بالعضاه وخرجت منها إلى روضة أنف زاخرة بالورود والماء الخريز وضنت أمي أن الأيام غدت فجاءت إلى احد الزملاء وأخبرته بالأمر فحاول

بالبداية إقناعها غير إنها كانت مصممة فأحالتها إلى زميل آخر فاصطحبها إلى مكان الجماعة وبينما نحن نستعد للنوم إذ برز لنا شبح من بعيد يتخلل ظلام الليل حتى وقف على رؤوسنا فإذا هي أمي وهي مصممة على ألا تعود بدوني فستنظر الأحباب أمرها ثم استقر الأمر على أن أرجع معها فرجعت ثم إن والدتي منعتني منعاً باتاً من الخروج مع الجماعة ولكنني بقيت أتردد على حلقات ذكرهم واجتماعاتهم وذات مساء ذهبت في نصررة جماعة خارجة في سبيل الله فضلت الطريق وبعد بحث شاق أهدتني وفي الغد حيث كنت جالسا بعد منتصف النهار بعد رجوعي من المدرسة قالت لي يا بني لقد أذنت لك بالخروج مع الجماعة ولكن بشرط ألا تغادر المدينة فسررت بذلك سرورا بالغائثم أخبرت الجماعة بذلك ففرحوا كذلك وتتابعت الأيام وأنا على هذه الحالة حتى جاء اليوم الذي قررت فيه الخروج أربعين يوما فقامت الدنيا علي وقعدت وأصيبت والدتي بصاعقة عندما رأتني اغسل ثيابي وأعد

العدة للخروج فذهبت مسرعة إلى أحد زملائي تشكوني له إلا انه لم يتجاوب معها على حد تعبيرها فذهبت إلى الأمير العام للجماعة فتلقاها ببهجة وسرور وهدأ من روعها وقال لها أبشري خيرا لن يفعل ابنك إلا ما تريدين فهدأ روعها واطمأنت ثم قال لها أيضا قولي له بأن يأتينا وعندما استبطنني أتى إلي ومعه اثنان آخران ثم إنهم اتفقوا معها على أن أخرج داخل المدينة وعند كل ثلاثة أيام أقوم بزيارتها فخرجت أربعين يوما وفي السنة الأخرى أذنت لي بالخروج خارج المدينة وهكذا شرح الله صدر والدتي لهذا الأمر وأصبحت محبة للجماعة وتكره كل من ينتقص منها وكان من نعم الله تعالى علي وعلى كثير من عباده أن استمررت في الخروج مع الجماعة وأصبح وقتي مقسما إلى ثلاثة أقسام المنزل ، والمدرسة ، والمسجد كما أنني أجريت جلسة تعليمية مع أمي لكي نصح ديننا فصحت الفاتحة وسوراً معها وصارت تصوم كل رمضان وتحافظ على صلاة الشفع والوتر والضحى ثم شاءت الأقدار أن

أُتعرّف على فتاة تسكن في نفس الحارة التي أسكن فيها  
فوقعتُ في حبها أسيراً وأعلمتها بذلك وكانت لا تزال  
حديثّة السن فقبلت واستمررت أوصلها قرابة ثلاث سنوات  
وكان الذي بيننا أنقى وأطهر من ماء السماء لأنني لم أخلو  
بها يوماً ولم ألمس لها جسدا وإنما علاقة قلبية أكتفي  
بالنظر إليها من غير تحديق ولو من بعيد إن سنحت لي  
الفرصة حين أن توجهي الديني يمنعني من ممارسة الحب  
معها كباقي الشباب الذين في سني ، وذات يوم كنت مع  
أحد الزملاء ، زملاء الطفولة وبينما نحن نتقاسم أطراف  
الحديث سألته عن أحوال الشباب وما يعيشونه من حياة  
طائشة لا يزنها دين ولا عقل فاخبرني أنها تواعد غيري  
فنزل الخبر كأنه صاعقة على رأسي ولما لقيتها سألتها عن  
صحة الخبر وأنا بين الخوف والرجاء فقالت لي إن ما  
سمعت صحيحا ساءلتها وعيناوي تفيض دمعاً ولماذا ؟ هل  
رغبت عني أم طال عليك الأمد قالت لي وهي على  
استحياء نعم لقد طال علي الأمد وأنا أريد من يحقق

أحلامي وأنت ما تزال تلميذا فقلت لها لماذا لم تكوني  
أعلمتني من قبل وأنا الذي كنت أرسم أحلاما على سطح  
القمر حياة تجمعني وإياك ... ولكن لا تثريب عليك  
سيعوض الله خيرا لكل واحد منا ، وتتابعت الأيام إلى أن  
قضى القدر لي بالسقوط في حبال غيرها والسلو عنها  
كانت هذه الأخيرة تمتاز عن سابقتها بقوة الشخصية مع  
طيوبة القلب كما أنها كانت مثقفة أدرس وإياها بنفس  
القسم ، كانت الأيام الأولى التي تعرفنا فيها على بعضنا  
البعض مجرد حلم بالنسبة لي لأنني لا أدري كيف بدأت  
لأنني كنت وقتها لا أزال في جراحي القديمة وفجأة دخلت  
نافذة حياتي وبدأت رويدا رويدا تتسلل إلى خريطة قلبي  
المسكين حيث وجدت فيه أرضية خصبة لتبذر فيها بذورها  
، بدأنا في اللقاء على الهاتف كنا نجلس الساعات ذوات  
العدد نتبادل الحديث خلف ستار الليل وفي يوما من الأيام  
زارتني في الحانوت الذي أعمل فيه في السوق متذرة  
بأنها كانت لديها حاجة في السوق وأحبت أن تلقي علي



السلام لأننا إذ ذاك في عطلة عن المدرسة وكنت أحبها حبا جما إذ لا أكاد أصبر عنها يوما أو يومين حتى ذاع أمرنا في القسم وانتشر خبرنا لكنني كنت أفضل التفكير فيها ، ولم أصدق فيها يوما تقول لي وهي تضحك هل تخافني!! فقلت لها وما ذاك قالت ما ناديتك واستوقفتك لأسألك عن شي إلا هربت مني ما بك!! قلت لها لا شيء وكنت أحدث عنها والدتي وأحاول أن أطلعها على ما بيني وبينها من المودة وأني أفكر في أن أتخذها زوجا لي في المستقبل ففتنهاني عنها وتقول لي يا بني!! أنت زوجتك لم تولد بعد فدع عنك هذه الترهات ، وأثمرت علاقتنا وأخرجت براعمها ولكنني كنت أحس أنها كلما لقيتها بان لديها ما تود أن تخبرني به أو تسألني عنه وكنت أتجاهلها إلا أن ذلك لم يطل كثيرا ، اتصلت علي فاستقبلتها والدتي سألتها عني فلم تجدني لأنني كنت حينها غائبا في بعض حوائجي فتركت رسالة عندها وطلبت منها أن تخبرني فور مجيئي في شأنها ولما جئت أخبرتني أمي رسالتها فاتصلت عليها

مباشرة فطفقنا نتبادل الحديث فسألتني عن خططي المستقبلية وماذا سأفعل بعد حصولي على البكالوريا قلت لها أنني أفكر في إكمال الجامعة فقالت لي إذا نفترق فقلت لها لماذا ؟ قالت لي أنا لن أذهب إلى الجامعة ولكنك إن كنت ستمضي ثلاثة سنوات في الجامعة فقط فسأنتظرِكَ وإلا فلا أستطيع انتظاركَ فأجبتها متبسما تريدين الصراحة أنا أفكر في إكمال التعليم الجامعي ولعلك على حق لا تنتظريني عيشي حياتك كما يحلو لك تزوجي وإن كان لي فيك نصيب فسأجده لاحقا ولم تلبث الأيام حتى تشاجرنا وتحول كل الذي كان بيننا إلى سراب وتحولت تلك القصة الوردية العفيفة إلى جفاء وبعد ، ولقد أخذ الهاتف وأبحث فيه عن رقمها لأتصل إليها ولكنني تتجاوزني الحمية لنفسي فازجرها ، وطويت صفحة من تاريخ حياتي لا أظن أنها ستفتح قبل يوم القيامة ولكن يبقى السؤال الذي يدور في خلجات نفسي هل سأعيش قصة حب بعدها مشابهة ؟ أم إنني سأخذ العبرة ؟ وأريد أن أعطي لأخي القارئ فرصة

في أن يلتمس لي ولو أقرب مخرج لأنني اعتبر أن الحب شي خارج عن إرادة الشخص لأنه ميول قلبي قد يطرق قلب الشخص في أي وقت بلا مشورة ولا استئذان إلا أنني أرى أنه يحسن للمتحابين أن يبقيها على منأً عن بعضهما البعض فلا يكون هناك لقاء بينهم ومواعيد سرية وجها لوجه وإنما يكفي عندي تعلق القلب فقط لإن الحب شي مقدس ولا ينبغي أن ندنسه بل علينا أن نصونه ونحفظه ، وأنت تعلم يا عزيزي القارئ أننا في عصر يجرم أهله الحب ويتهمون من يتعاطاه بالانحلال والخروج عن العادات والأخلاق الإجتماعية وهذه النظرية لا تستند إلى أي برهان لا عقلي ولا ديني وإنما مجموعة أحكام مسبقة ولذلك فهي أنا أسوق إليك قصة حياتي لتعلم أن الحب لا يدنس الإنسان وإنما الإنسان نفسه هو الذي يدنسه ، وإذا ما رجعنا القهقراء واستقرانا سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدا لنا الأمر جلياً واضحاً لأن الدين لا يتدخل في أمور القلب بل أنه تركها طليقة حرة حيث كان صلى الله

عليه وسلم يقسم كل ما يملك بين زوجاته من نفقة وكسوة  
... حتى لم يبق إلا الحب والعاطفة يقول (اللهم هذا قسمي  
فيما أملك فلا تؤاخي في ما لا أملك ) وكانت أحب نسائه  
إليه عائشة بعد خديجة رضي الله عنهما .

انتهى